فصلى جماعةٌ منهم الظهر خشية فوتهِ واحتجوا بان ذلك منهُ صلى الله عليهِ وسلم كان تحريضاً على الاستعجال ولم يُردْ اخراج الصلاة عن وقتها فاستنبطوا من النص معنى يثنوا بهِ ان الحصر في قولهِ الاَّ في بني قريظة اضافي لا حقيقي وأبى آخرون فلم يصلُّوا الظهر الاَّ في بني قريظة بعد العصر واحتجُّوا بانهُ صلى الله عليهِ وسلم اطلق الحصر ولم يُبيِّنْهُ فكان المرادُ بهِ حقيقتَهُ فلما بلغهُ صلى الله عليهِ وسلم اختلافهم ونعلهم لم يُنكر على أحدٍ من الفريقين واقرَّ كلاًّ على ما فهمهُ اشارةً الى ان الكل مجتهدون مأجورون على هُدًى من الله تعالى فلا ينسَب الى احدٍ منهم خطأٌ ولا تقصير. وانظر قولهُ صلى الله عليهِ وسلم فايما اخذتم بهِ اهتديتم فجعل الكل مهتدين

وبما تقرر يظهر اتجاهُ القول بان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى في كل واقعة تابع لظن المجتهد وهو احد قولين للائمة الاربعة ونسب ترجيحهُ لاكثر الشافعية والحنفية والباقلاني ولا ينافيهِ تصريح الخبر الصحيح بان للمصيب اجرين وللمخطىء اجرًا لأنهُ محمول كما قالهُ السيوطي على ان المراد الخطأُ في ادراك الافضل والاولى. وقال في الشفا القول بتصويب المجتهدين هو الحق والصواب عندنا. وقال في جمع الجوامع والمتكلمون عليهِ ونعتقد ان ابا حنيفة ومالكاً والشافعيَّ واحمد والسُّفيانيين والاوزاعي واسحاق بن راهويه وداود الظاهري وسائر أئمة المسلمين كابن جرير على هدًى من الله تعالى ولا التفات الى من تكلم فيهم بما هم بريئون منهُ انتهى

سليمان العبد
شيخ الشافعية بالازهر الشريف

الشعراء الحافظون والشعراء العصريون

يظهر ان الشعراء آخرون يفكر في خلع القديم الخلق والتزيي بالجديد ذي الطلاوة. فمن كلِّ زمرة الشعراء والمتشاعرين الذين ينظمون الشعر او يدَّعون النظم لا تكاد ترى واحداً في المئة يحاول مجاراة العصر ونبذ القديم واقتباس الجديد وتقليد الشعراء العصريين من الامم الاخرى. والسبب في ذلك اقتصار شعرائنا على درس الشعر العربي وعدم الاحتفال بدرس الشعر الاجنبي اما لانهم يجهلون اللغات الاجنبية او لانهم يزدرون الشعر الاجنبي ويحسبون ان الاهات الشعر لا ترجى بهِ الاَّ اليهم وان ما ينظمهُ الشعراء الاجانب نفاية وسفسفة حتى كأنهُ المقصود بقول ابي الطيب حيث قال

ان بعضاً من القريض هذاءٌ ليس شيئاً وبعضهُ أحكمُ

منهُ ما تجلبُ البراعةُ والفضلُ ومنهُ ما يجلبُ البرسامُ

ومن الغريب ان مزية نظم الشعر العربي الجيد واتقان اللغات الاجنبية لا يلتقيان في شخص واحد او قلما يلتقيان فكانهما ضرّتان او ضدّان لا يجتمعان او كأن الاهات الشعر لا توحي بهِ الاَّ الى الذين لا يعرفون لغة اجنبية غيرة منها على شرف اللغة العربية . ومن خرج عن ذلك شاذٌّ لا يبنى عليهِ حكم كالشاعر احمد بك شوقي فانهُ شاعر عربي وعارف لغة اجنبية وديوانهُ شاهد لهُ بمقدرتهِ على تقليد الشعراء الغربيين وخصوصاً ما نظمهُ على السنة الحيوانات حاذيًا في ذلك حذو لافونتين وغيرهِ وقد اغتنمت فرصة تدريسي في المدرسة الكلية ببيروت السنة الماضية فكنت اعلّم التلامذة القصائد المذكورة غيباً على كره بعضهم لها جهلاً ولوعدَّ الشعراء المحافظون نظم صاحبها وتعليمي اياهم سورة من سلسلة مزيتهم كما عدّهُ من افواه بعضهم

نشرتم لي في المقطم بعض قصيدة في مقالة من سلسلة مقالات بعنوان " هنا وهناك " . وقد اقترحت على السادة الشعراء اكمالها فجاءني كتاب من شاعر نجيد صديق قال فيهِ انهُ آخذ في تلبية طلبي ولكنهُ رأى ان يوجه خاطري الى مصراع في قصيدتي وينتقد عليَّ المعنى المتضمن فيهِ . اما البيت فهو

ونفورٍ وخفّةٍ والتفاتٍ كظباءٍ تمرحنَ في بستانِ

وملخص الانتقاد انّي لو جعلت الظباء تمرح في وادٍ او كثيبٍ او منعرج او منعطف او على هضبة او اكمة لكان ذلك اوجه لاننا لم نعتد رؤية الظباء تمرح في البساتين والحدائق اذ هي حيوانات برية وحشية لا الفة انسية . فما ينتقدهُ صديقي عليَّ هو عين ما اردت توجيه الانظار اليهِ والبحث فيهِ للتحذير منهُ

يقول صاحبي اننا لم نعتد رؤية الظباء تمرح في البساتين والحدائق بل في الاودية ومنعطفاتها والكثبان ومنعرجاتها . فأسألهُ كم ظبياً رأى في زمانهِ اما انا فلم ارَ في زماني ظبياً في وادٍ او على هضبة او اكمة ولن اؤمل ذلك لانهُ لا يتسنى الاَّ لصيّاد في بلاد ترودها الظباء وتكثر فيها الغزلان . على اني رأيتها تنفر وتلتفت وتمرح في بستان فنظمت ما نظمت في ما رأيت اما هو فسمع بنفورها وتلفّتها ومرحها مما نظم هذا الشاعر وذاك وعليهِ ينظم في ما يسمع . وما راء كمن سمع

والبستان الذي رأيت الظباء تلتفت وتنفر فيهِ بستان الحيوانات في الجيزة بمصر . ولو ذهب صاحبي الى هناك لصدّق خبرهُ الخبر ولوافقني على مصراعي بيتي . ولكنهُ يفضّل بقاء

القديم على قدمه ويحسب ان الالهام لم يهبط الاَّ على الشعراء الاقدمين وان ما ينظمهُ ابناؤهم هذا في هذا جارياً مجرى انصار الفلسفة القديمة فلسفة ارسطو واتباعه فانهم كانوا يسلمون ببادئها وقواعدها تسليم الاعمى بحجة ان ارسطو ذهب اليها وهو معصوم من الغلط لا بناءً على المشاهدة والاختبار والامتحان. اركان الفلسفة الجديدة التي قلبت للاولى ظهر المجن ووضعت اساساً ثابتاً مكيناً للعلوم والفنون الحديثة

ومما يجمل ذكرهُ في هذا الصدد اني كنت اكلم عالماً فاضلاً ببعض الامور العلمية والادبية فورد ذكر الشعر والشعراء عرضاً فجعلنا نقابل الشعر العربي بالشعر الافرنجي ونبين الفرق بينهما فقال ان السر ولتر سكوت الشاعر الانكليزي المشهور كان اذا اراد وصف جدول ماء مثلاً قصدهُ ليراهُ بعينيهِ ثم رسمهُ على قطعة ورق بما على ضفتيهِ من الحصى والاحجار والاشجار كأنهُ مصوّرٌ لا شاعر. ثم شرع في وصفهِ شعراً حتى اذا قرأ احد ذلك الوصف امكنهُ تصوّر الجدول في مخيلتهِ تصوراً واضحاً كأنهُ يرى صورتهُ الحقيقية امامهُ. اما شعراؤنا فقضوا ايامهم في مدح فلان وذمّ فلان واذا خطر لاحدهم ان يصف منظراً طبيعياً او حادثة ما وصف كما سمع من هذا وذاك وقلما يحكم وصفهُ ويدقق في التفصيل

فوافقتهُ على ما قال وقلت اني لا اكاد اتذكر شاعراً من شعراء العرب دقق التدقيق الواجب في وصف حادثة شاهدها غير المتنبي في وصف الاسد وما جرى بينهُ وبين بدر بن عمّار في قصيدتهِ التي مطلعها

في الخدّ ان عزم الخليطُ رحيلا مطرٌ تزيد بهِ الخدود محولا

حيث يقول

امعفر الليث "الشديد" بسوطهِ لمن اذخرت الصارم المصقولا

الى آخر ما هناك من الوصف الدقيق الذي لا يقرأهُ احد الاَّ ارتسمت هيئة الاسد واضحة في ذهنهِ فاستطاع رسم صورتهِ على الورق ولو لم يكن قد رآهُ في زمانهِ

ومما يؤاخذ شعراؤنا بهِ ان يذكروا في قصائدهم اسماء اماكن في بلاد العرب لم يروها بل لم يروا احداً رآها. ولو اقتصر الامر على ذلك لهان ولكنهم يجهلون مواقعها وطبيعة ارضها واقليمها وسائر ما يتعلق بها وربما لم يكن الجغرافيون وعلماء تخطيط البلدان ومساحوها ومشاهير الافاقيين والسيّاح والمكتشفين اكثر علماً منهم بها وبحقيقة مواقعها وانما اكثر شعراء العرب ذكرها لانها قسم من بلدانهم فان كانت جبلاً فكم استجاروا واعتصموا بهِ او سهلاً فكم حدوا عيسهم فيهِ او عين ماء فكم وردوها وأرووا ظمأهم بمائها او مطمئناً من الارض فكم اناخوا ركائبهم

فيه للمبيت او دوحة فكم تفيأوا ظلها للقيل او ظللاً دارساً فكم مرحوا فيه وطربوا ايام كان ربعاً زاهياً . فما لشعرائنا يطيلون الوقوف على الاطلال ـــ وما لهم ولذكر العقيق والابلق ودار مية ووجرة وكاظمة والعذيب وبارق والمنحنى ووادي الغضا وهم لا يعرفون منها الاَّ اسماءها . وقد كان كثيرون من شعراء الاسلام يكثرون ذكر بعضها في قصائدهم ويبالغون في مدحها لعلاقتها بصاحب الرسالة الاسلامية . فان كثيراً منها لم يكن يستحق المدح في حد نفسه كعين وجرة فانها عين سخينة الماء قليلة النزّ لا تنقع غلّة ولا تشفي علّة مرتٌ للوحش في سبسبٍ من الارض لا يسكنهُ انسٌ ولا يأوي اليهِ جنّ . ولا لوم الشاعر العربي اذا مدحها واعجب بها ما شاء فكم ارّوى بها الظمأ هو وقومهُ بعد اجتياز المفاوز والسباسب الجافّة من حولها . ومهما كان الماء أُجاجاً آسناً وجدهُ اذ ذاك عذباً زلالاً . فمدحهُ للماء من قبيل الاقرار بالمعروف وعرفان الجميل

فما احرى الشاعر المصري ان يتناسى وجرة وماءها ويتغزل بالنيل ما شاء ويعجب بهِ ما شاء وهو ابو مصر وروحها وحياتها وسبب وجودها وهي ابنتهُ كما لقبها هيرودوتس المؤرخ الشهير . بل ما اجدر الشاعر العراقي ان يقف شعرهُ على مدح الفرات ابي الممالك القديمة الاثيلة ممالك الكلدان واشور وبابل . بل ما اخلق الشاعر الشامي ان يسدل حجب النسيان على وجرة والعذيب وعندهُ عيون لبنان وينابيعهُ الشهيرة يتدفق منها الماء الشبم السلسبيل تدفق ماء النيل كراس العين ونبع العسل ونبع اللبن ونبع القاع والصفا والباروك من العيون التي يقلّ نظيرها تحت الخضراء

هذا وبدلاً من ان نلجأ الى الرصافة والجسر في قول الشاعر "عيون المها بين الرصافة والجسر" عند قصد التغزل والتشبُّب لماذا لا نقول "عيون المها بين الجزيرة والكبري" في وصف المناظر التي تلوح لعين الناظر بين كبري قصر النيل والجزيرة المشهورة في يوم سرحت ظباؤهُ وصفت سماؤهُ واعتلّ نسيمهُ وراق اديمهُ . ألا يكون الوصف اذ ذاك اكثر مطابقة للحقيقة . أفي شبه جزيرة العرب كلها منظر يقرب بهاء وجلالاً من منظر الجزيرة والنيل مقبل الاقيال العظام من فرعون مصر القديم الى عزيزها الجديد

هذا بعض ما جال في الخاطر عن الشعر والشاعر وقد استأذنت صديقي في نشر انتقادي على صفحات المقتطف الاغرّ فأذن ووعد بالردّ . ولي كلمة بعدُ على الكتابة والكاتب ارجئها الى فرصة اخرى

نجيب شاهين